



الشخصيات النامية في رواية أبناء وأحذية

الباحثة منال ياسر كطوف

مديرية تربية واسط

mkattoof@uowasit.edu.iq

+964 780 311 2800

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم الشخصية النامية وتطبيقه على رواية "أبناء وأحذية" لمحسن الرملي، وذلك بسد فجوة نقدية تتعلق بالتركيز المعمق على دينامية وتطور الشخصيات في هذا العمل الأدبي الهام. ركزت الدراسة على الإجابة عن تساؤلات رئيسية تتعلق بطبيعة التحولات، العوامل المؤثرة فيها، التقنيات السردية الموظفة، وأثر ذلك على بناء الحكمة والرسائل الفكرية. مشكلة الدراسة تمثلت في غياب التحليل المنهجي لتتبع تطور الشخصيات في الرواية، لاسيما الشخصية المحورية "أمير"، وكيف يؤثر هذا التطور في المعنى الكلي للنص. وظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

1. تبين أن شخصية أمير تخضع لتحولات عميقة من أب مكلوم ومنكسر بسبب فقدان ابنته في العراق إلى شخصية متمردة تُعيد تعريف الأبوة والمسؤولية في الغربية، لاسيما من خلال قراره بأن يصبح "واهياً" للحيوانات المنوية". هذا التحول يعكس صراعاً نفسياً وفكرياً عميقاً.
 2. كشفت الدراسة أن هذه التحولات ناجمة عن تضافر عوامل داخلية (مثل الصدمة النفسية، الشعور بالذنب، الصراعات الوجودية، وشغفه الفني المكبوت) وعوامل خارجية مثل (الظروف السياسية والاجتماعية القاسية في العراق، والتجارب التحريرية في الغربية، والعلاقات الأسرية التي شكلت تمرده).
 3. أبرزت الدراسة براعة محسن الرملي في توظيف تقنيات سردية متعددة لإظهار هذا التطور بشكل مقنع. من أبرز هذه التقنيات: المونولوج الداخلي وتيار الوعي الذي يكشف عن أفكار الشخصية وتحولاتها الداخلية، الفلاش باك الذي يربط الماضي بالحاضر، الحوار الذي يعكس التغير في الشخصية، تصوير الشخصية من خلال الفعل ورد الفعل، استخدام الرمزية (خاصة رمز الأحذية)، ووصف البيئة المحيطة التي تؤثر في تحولات الشخصية.
 4. أكدت الدراسة أن نمو الشخصيات وتطورها هو المحرك الأساسي لديناميكية الحكمة وتضاعفها غير المتوقع، حيث تشكل قرارات أمير المتغيرة نقاط تحول رئيسية في الرواية. علاوة على ذلك، تُصبح رحلة الشخصية النامية هي الوعاء الذي تُقدم من خلاله الرواية رسائل فكرية وفلسفية عميقة حول مفاهيم الأبوة، الفقد، الحرية، المسؤولية، والبحث عن الهوية والمعنى في عالم يواجه الفوضى والألم.
- تُشير الدراسة إلى أن محسن الرملي قدّم في "أبناء وأحذية" نموذجاً للشخصية النامية التي لا تُثري السرد فحسب، بل تُصبح محوراً لاستكشاف تجربة إنسانية معقدة، وتُلقى الضوء على براعة الكاتب في بناء عوالم روائية تُجسد صراعات النفس البشرية في مواجهة الواقع.
- الكلمات المفتاحية:** الشخصية، النامية، الرواية

Al-Nami's characters in the story of Sons of Wahziya

Manal Yasser Kotouf

Directorate of Intermediate Education

mkattoof@uowasit.edu.iq

+964 780 311 2800

Study summary:

This study aimed to analyze the concept of the developing character and apply it to Mohsen Al-Ramli's novel "Sons and Shoes," bridging a critical gap related to the in-depth focus on the dynamics and development of characters in this important literary work. The study focused on answering key questions related to the nature of transformations, the factors influencing them, the narrative techniques employed, and their impact on plot construction and intellectual



messages. The study's challenge was the lack of systematic analysis tracing the development of the characters in the novel, particularly the central character "Amir," and how this development affects the overall meaning of the text. The study's results revealed the following:

1. It was found that the character of Amir undergoes profound transformations, from a grieving father, broken by the loss of his daughter in Iraq, to a rebellious character who redefines fatherhood and responsibility abroad, particularly through his decision to become a "sperm donor." This transformation reflects a profound psychological and intellectual struggle.
2. The study revealed that these transformations are the result of a combination of internal factors (such as psychological trauma, guilt, existential conflicts, and his repressed artistic passion) and external factors (such as the harsh political and social conditions in Iraq, the liberating experiences of exile, and the family relationships that shaped his rebellion).
3. The study highlighted Mohsen Al-Ramli's skillful use of multiple narrative techniques to convincingly portray this development. Prominent among these techniques are: internal monologue and stream of consciousness, which reveal the character's thoughts and internal transformations; flashbacks, which connect the past to the present; dialogue, which reflects the change in character; portraying the character through action and reaction; the use of symbolism (especially the symbol of shoes); and descriptions of the surrounding environment that influence the character's transformations.
4. The study confirmed that the growth and development of the characters is the primary driver of the plot's dynamics and unexpected escalation, with Amir's changing decisions constituting major turning points in the novel. Moreover, the developing character's journey becomes the vessel through which the novel delivers profound intellectual and philosophical messages about concepts of fatherhood, loss, freedom, responsibility, and the search for identity and meaning in a world facing chaos and pain.

The study indicates that Mohsen Al-Ramli, in "Sons and Shoes," presents a model of the developing character that not only enriches the narrative but also becomes a focus for exploring a complex human experience. It highlights the author's skill in constructing fictional worlds that embody the struggles of the human psyche in confronting reality.

Keywords: character, increasing, novel

تمهيد:

تعد الرواية فضاءً رحباً لاكتشاف تعقيدات النفس البشرية وتجلياتها المتغيرة، حيث تتجاوز الشخصيات مجرد كونها أسماء على ورق لتغدو كائنات حية تتنفس وتتأثر وتتفاعل مع محيطها⁽¹⁾، وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة الشخصيات النامية؛ تلك التي لا تظل جامدة في إطار صفات محددة، بل تخضع



لصيورة من التطور والتحول على مدار الأحداث، متأثرة بالصراعات الداخلية والخارجية، وبالظروف المحيطة التي تشكل وعيها وتجاربها⁽²⁾.

تأتي رواية "أبناء وأحذية" للكاتب العراقي محسن الرملي كنموذج ثري لهذه الظاهرة، حيث تتشابه فيها مصائر شخصيات متعددة، تحمل كل منها أعباءها وتطلعاتها الخاصة، وتواجه تحديات وجودية واجتماعية عميقة. إن محسن الرملي، بقدرته على الغوص في أعماق النفس البشرية، يقدم لنا "شخصيات ليست مجرد أدوات لدفع الحبكة، بل هي كائنات تتحرك وتنمو، تتغير نظرتها للعالم، وتبدل أولوياتها، وتتأثر بنسيج العلاقات المعقد الذي يحيط بها"⁽³⁾.

الشخصية النامية هي حجر الزاوية في الروايات العميقة والمقنعة، على عكس الشخصية الثابتة التي تظل صفاتها وأفكارها وسلوكياتها على حالها من بداية القصة إلى نهايتها، فإن الشخصية النامية تخضع لتطور وتحول جوهري على مدار أحداث الرواية⁽⁴⁾.

وتأتي أهمية الشخصية النامية في الرواية في أنها تجعل الرواية أكثر واقعية وقابلية للتصديق، لأنها تحاكي تعقيد البشر الحقيقيين الذين يتغيرون ويتعلمون من تجاربهم. "كما تُضفي عمقاً على السرد وتثري التجربة الروائية، لأنها تُقدم شخصيات يمكن للقارئ أن يتعاطف معها ويتابع رحلتها النفسية، فغالباً ما تكون الشخصية النامية هي المحرك الرئيسي للأحداث، حيث تدفع قراراتها وتحولاتها القصة إلى الأمام وتحدث تصاعداً درامياً⁽⁵⁾". "حاملة الرسائل الفكرية من خلال رحلتها، تُصبح الشخصية النامية وعاءً لاستكشاف القضايا الفلسفية والإنسانية العميقة التي تطرحها الرواية"⁽⁶⁾.

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع مسارات التطور التي تمر بها الشخصيات المحورية في رواية "أبناء وأحذية"، مستكشفة العوامل التي تسهم في نموها وتغيرها، سنبحث في كيفية تأثير الأحداث التاريخية والاجتماعية على تكوين هذه الشخصيات وتحولاتها، وكيف تتجلى صراعاتها الداخلية والخارجية في رسم ملامحها النهائية. من خلال تحليل دقيق لتصرفاتها، حواراتها، وعلاقاتها مع الآخرين، سنسعى إلى الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية التي تضفي على هذه الشخصيات حيوية وعمقاً، مؤكداً على الدور المحوري للشخصيات النامية في إثراء التجربة الروائية وتقديم رؤى أعمق حول الذات والمجتمع.

تحديد المشكلة:

تكمّن مشكلة هذه الدراسة في غياب التحليل النقدي المعمق والمخصص لتتبع دينامية وتطور الشخصيات في رواية "أبناء وأحذية" لمحسن الرملي. فعلى الرغم من الأهمية الفنية والاجتماعية التي تمثلها هذه الرواية في المشهد الأدبي العربي المعاصر، إلا أن الدراسات المتوفرة قد لا تولي اهتماماً كافياً لكيفية نمو الشخصيات وتحولها على مدار الأحداث، وتأثير هذه التغيرات في بنية الرواية ومعانيها العميقة.

إن الشخصية الروائية والقصصية هي مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه الأفكار والمعاني المكانة الأولى في الرواية منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياها⁽⁷⁾. فلا يسوق القاص أفكاره وقضاياها العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل متمثلة في الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع⁽⁸⁾.

وتبنى الشخصية النامية على سجايا متعددة وأبعاد مختلفة، وتتطور بتطور حوادث الرواية واحتكاكها بغيرها⁽⁹⁾. تنمو رويداً رويداً بصراعها مع الأحداث أو المجتمع، فتتكشف للقارئ كلما تقدم بالقصة،



حيث تفاجئه بعواطفها الإنسانية المعقدة بين الحين والحين على نحو مقنع فنياً، وتتخفه بجديد في السلوك والتفكير⁽¹⁰⁾، ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، وقد يكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً، وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق⁽¹¹⁾

بشكل أكثر تحديداً، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

1. ما هي طبيعة التحولات والتطورات النفسية والسلوكية والفكرية التي تطرأ على الشخصية المحورية "أمير" في رواية "أبناء وأحذية" من بداية الأحداث حتى نهايتها؟
2. ما هي العوامل الداخلية (كالصدمة، الصراعات النفسية، القيم والمعتقدات) والخارجية (كالظروف السياسية والاجتماعية في العراق، والتجارب في الغربة، والعلاقات الأسرية) التي تسهم في دفع هذه التحولات وتبريرها؟
3. كيف يُوظف محسن الرملي تقنيات سردية معينة (مثل المونولوج الداخلي، الفلاش باك، الحوار، والرمزية) لإبراز دينامية الشخصيات وتقديم تطورها بشكل مقنع للقارئ؟
4. إلى أي مدى يؤثر نمو الشخصيات وتطورها في بناء الحكمة الروائية وتصاعدها، وفي تشكيل الرسائل الفكرية والأبعاد الفلسفية التي تسعى الرواية لإيصالها حول مفاهيم الأبوة، الفقد، الحرية، والبحث عن الهوية؟

منهجية الدراسة:

إن الإجابة عن هذه التساؤلات ستسهم في إثراء المكتبة النقدية العربية بقراءة متعمقة لرواية "أبناء وأحذية" من منظور يركز على الشخصية بوصفها كياناً حيويًا متطورًا، مما يُلقي ضوءاً جديداً على براعة الرملي في البناء الروائي ويُعمق فهمنا لأبعاد الرواية الفنية والفكرية.

المبحث الأول: ما هي طبيعة التحولات والتطورات النفسية والسلوكية والفكرية التي تطرأ على الشخصية المحورية "أمير" في رواية "أبناء وأحذية" من بداية الأحداث حتى نهايتها؟
تتميز رواية "أبناء وأحذية" للكاتب محسن الرملي بتقديم شخصيات ليست مجرد أدوات سردية، بل كائنات حية تمر بتجارب مصيرية تُحدث فيها تحولات عميقة وملموسة. تتأثر هذه الشخصيات بالظروف القاسية في العراق، وبالتجارب الحياتية في الغربة، مما يسهم في نموها وتطورها على مستويات نفسية وفكرية وسلوكية⁽¹²⁾.

الشخصية الرئيسية: أمير

أمير هو المحور الذي تدور حوله الرواية، وتتجسد فيه أعماق التحولات والتطورات، رحلته من بغداد إلى إسبانيا ثم كولومبيا ليست مجرد رحلة جغرافية، بل هي رحلة وجودية تُعيد تعريف ذاته.

1. التحول من الأب المكلوم والمنكسر إلى الباحث عن التعويض والتحرر:

تبدأ الرواية بأمير في قمة ضعفه ويأسه، وهو يحمل جثة ابنته في علبة حذاء، عاجزاً عن توفير دفن لائق لها في ظل ظروف العراق المدمرة، هذه الصدمة الأولية تُحطم مفهومه عن الأبوة والمسؤولية، وتُولد لديه شعوراً عميقاً بالذنب والعجز.

"كانت علبة الحذاء في يدي أثقل من الجبال. أراها الآن، ليس جسد ابنتي الصغير، بل كل ما تبقى مني من إنسانية. لم يكن الموت هو النهاية، بل كان بداية العدم"⁽¹³⁾.

يدفع هذا الألم أمير إلى الهروب من العراق ليس فقط هرباً من الذكريات، بل هرباً من مفهوم الأبوة التقليدي الذي ارتبط لديه بالفقد والعجز. في الغربة، يجد أمير طريقة جديدة للتعويض عن ألمه والتحرر من قيود المسؤولية من خلال "التبرع بالحيوانات المنوية". هذا التحول يُمثل إعادة تعريف جذرية للأبوة،



حيث يُصبح "واهبًا للحياة" دون أن يتحمل أعباء الأبوة التقليدية أو مخاطر فقدان العاطفي⁽¹⁴⁾. إنه يُحاول أن يكون خالقًا على طريقته، بعيدًا عن الألم القديم.

"لم أعد أرغب في أن أكون ذلك الأب التقليدي الذي يُحرم من طفله. هنا، في هذه العيادات، أُنح الحياة دون قيود. أصبح أبا لكل هؤلاء الذين لا أعرفهم، وأحرر روحي من ثقل المسؤولية التي لم أستطع حملها. إنها حريتي"⁽¹⁵⁾.

2. التحول من الخاضع للقيود إلى المتمرد على المفاهيم الاجتماعية:
في العراق، كان أمير خاضعًا للقيود الاجتماعية والأبوية. رغبته في دراسة المسرح قوبلت بالرفض من والده، مما يُظهر جانبًا من استسلامه للضغوط.

"كان حلم المسرح يتلاشى أمام إصرار أبي. لم أكن أمتلك الشجاعة لأقف في وجهه، لأصرخ بأن روحي تموت ببطء في هذه القيود"⁽¹⁶⁾.

تتغير هذه السمة جذريًا في الغربية⁽¹⁷⁾. يُصبح أمير أكثر تمردًا على المفاهيم الاجتماعية التقليدية المتعلقة بالزواج، العائلة، وحتى الأخلاق. اختياره لطريقة حياة غير تقليدية في الإنجاب هو دليل على تمرده الجذري على الأنماط المألوفة، وبحثه عن معنى جديد للحياة والوجود يتجاوز التوقعات.

سألتني لورا يومًا: "ألا تفكر في الزواج، في عائلة خاصة بك؟" ضحكت. "العائلة؟ لقد تعلمت أن العائلة قد تكون قفصًا، أو قد تكون جرحًا. أنا أبحث عن روابط أعمق، روابط لا تُقيدني. أبنائي منتشرون في العالم، وهذا يكفيني"⁽¹⁸⁾.

3. التحول في منظومة القيم الأخلاقية والفلسفية:
يُفترض أن أمير كان يحمل قيمًا أخلاقية تقليدية قبل الصدمة؛ ثم تُحدث الفاجعة والرحلة تحولًا في مفاهيمه عن الصواب والخطأ، العدل والظلم، المسؤولية والحرية. تصبح قيمه أكثر مرونة وتساؤلًا، حيث يُعيد تعريف الأخلاق بناءً على تجربته القاسية ورغبته في التحرر. هذا التحول يعكس صراعًا وجوديًا أوسع حول معنى الحياة والقدر.

هل ما أفعله صحيح؟ هل هو خطأ؟ لم تعد هذه الكلمات تحمل المعنى القديم. في عالم رأيت فيه البراءة تذبح، والمقابر لا تتسع للموتى، أدركت أن الأخلاق قد تكون مجرد رفاهية لمن لم يُجرب الجحيم⁽¹⁹⁾.

الشخصيات الثانوية:

على الرغم من أن تركيز الرواية الأساسي على أمير، إلا أن بعض الشخصيات الثانوية تُظهر أيضًا تحولات أو تُسهم في إبراز نمو أمير من خلال علاقتها به.

1. والد أمير (الشرطي):

يُمثل رمزًا للسلطة الأبوية الصارمة والتقليدية، والذي يفرض على أمير مسارًا تعليميًا ومهنيًا لا يرغب فيه. فعلى الرغم من أن الرواية قد لا تُركز على تحولاته بشكل مباشر بعد رحيل أمير، إلا أن غياب ابنه ومصيره الغامض قد يُحدثان بداخله نوعًا من إعادة التفكير أو الشعور بالندم أو الفقد. وجوده في ذاكرة أمير وصراعه معه يُسهم في دفع أمير نحو التمرد.

"تخيلت وجه أبي وهو يقرأ رسالتي الأخيرة، أو ربما لا يقرأها. هل شعر بالخيبة؟ أم بالراحة؟ لم أعد أهتم. كنت أعلم أن جزءًا منه كان يريدني أن أكون نسخة منه، لكنني لم أستطع. ربما أدرك الآن أن القيود لا تُصنع الرجال، بل تُحطمهم"⁽²⁰⁾.



2. الفتاة التي أحبها أمير في العراق (المولعة بالمرسح):

تظهر شخصية مُتشابهة مع أمير في شغفها الفني، لكنها مقيدة بظروف عائلية ودينية قاسية (والدها رجل دين يُجبرها على دراسة الشريعة). تُمثل رمزاً للأحلام المدفونة.

"عيناها كانتا تحملان وهج المرسح المحرم. كانت تصرخ بداخلها، تماماً كما كنت أصرخ أنا، لكن صوتهما كان مكتوماً أكثر، خلف جدران لا يمكن اختراقها"⁽²¹⁾.

على الرغم من أن مصيرها قد لا يُفصل بعد رحيل أمير، إلا أن قصتها تُصبح جزءاً من ذاكرته وتُعزز لديه إحساسه بضرورة التمرد على هذه القيود. إنها تُبرز ثيمة "الأحلام المقتولة" التي تُسهم في صقل شخصية أمير ودوافعه للبحث عن الحرية. قد يُمكن التكهن أنها هي أيضاً قد تطورت لتُصبح أكثر قوة أو صمناً في مقاومتها لواقعها.

تُظهر هذه التحولات المعقدة والعميقة كيف أن شخصيات محسن الرملي ليست أحادية الأبعاد⁽²²⁾، بل هي "كائنات نامية تتأثر بالظروف القاسية، وتُعيد تعريف ذاتها في رحلة بحث مضنية عن معنى الوجود في عالم مُضطرب"⁽²³⁾.

بشكل عام، تدور التحولات في رواية "أبناء وأحذية" حول:

- مواجهة الصدمة والفقد: حيث ينطلق أمير من صدمة فقدان ابنته.
- البحث عن الهوية والمعنى: في بيئات مختلفة، يحاول أمير إعادة تعريف ذاته ومساره في الحياة.
- إعادة تعريف المفاهيم الاجتماعية والإنسانية: تتغير نظرة الشخصيات لمفاهيم مثل الأبوة، العلاقات، الحرية، والأخلاق في ظل تجاربها القاسية.
- التمرد على القيود: سواء كانت قيوداً عائلية، اجتماعية، أو حتى قدرية.

المبحث الثاني: ما هي العوامل الداخلية (كالصدمة، الصراعات النفسية، القيم والمعتقدات) والخارجية (كالظروف السياسية والاجتماعية في العراق، والتجارب في الغربة، والعلاقات الأسرية) التي تُسهم في دفع هذه التحولات وتبريرها؟

إن تحديد العوامل الداخلية والخارجية التي تسهم في نمو الشخصيات وتغيرها في رواية "أبناء وأحذية" هو جوهر فهم الديناميكية النفسية والاجتماعية التي يبينها محسن الرملي. "تتداخل هذه العوامل بشكل وثيق لتشكيل مسار تطور كل شخصية"⁽²⁴⁾.

العوامل الداخلية (الصراعات النفسية، القيم، المعتقدات، الدوافع):

1. الصدمة النفسية وفقدان الأبوة (لدى أمير):

يعدّ فقدان أمير لابنته في ظروف مأساوية هي الصدمة المركزية التي تُطلق شرارة كل التحولات اللاحقة في شخصيته ومسار حياته. هذه المفاجأة ليست مجرد حدث عابر، بل هي بمثابة زلزال يُدمر عالمه الداخلي ويُعيد تشكيل كل مفاهيمه وقناعاته.

إن مشهد دفن الابنة في علبة حذاء فارغة ليس مجرد تفصيل، بل هو تجسيد رمزي لقمة الألم والعجز الذي يشعر به أمير. إنه عجز عن توفير نهاية كريمة لابنته، وعجز أكبر عن حمايتها من عنف الواقع. هذا الفعل غير التقليدي والمؤلم للغاية، يُصبح علامة فارقة في نفسيته.

"كانت أطراف أصابعي تتجمد فوق غطاء علبة الحذاء، أرتجف لا من البرد، بل من هول الكارثة التي دفنتها بين يدي. لم أكن أدفن ابنتي فحسب، بل أدفن معها كل ما كنت أظنه حياةً أو أباً. في تلك اللحظة، لم يعد للأرض قيمة، ولا للسماء معنى"⁽²⁵⁾.

⁽²⁴⁾ سامان جليل إبراهيم : الوعي السردي بالواقع العراقي المعاصر قراءة في روايات محسن الرملي، بحث منشور، مجلة دراسات اللغة، العدد(10)، المجلد(8)، 2024، صص 47-76.



الهروب الجسدي والنفسي⁽²⁶⁾. تدفعه هذه الصدمة إلى الهروب من العراق، لكن هذا الهروب ليس مجرد انتقال جغرافي. إنه هروب نفسي عميق من ذكريات مؤلمة لا تُطاق، ومن إحساس طاعٍ بالذنب والعجز عن حماية من أحب. هو محاولة لترك تلك "الذات" المكسورة خلفه.

"كل كيلومتر ابتعدته عن بغداد كان يزيح عن روحي طبقة من رماد الذكريات. لم أكن أبحث عن وطن جديد بقدر ما كنت أبحث عن جلد جديد، عن نفس لا تُعكره رائحة البارود، عن قلب لا يُرجفه صدى الصراخ القديم"⁽²⁷⁾.

لعل أعمق تحول يحدث لأمير بعد هذه الصدمة هو تخليه عن مفهوم الأبوة التقليدي. تجربة الفقد كانت قاسية لدرجة جعلته يُعيد تعريف علاقته بالإنجاب والأبوة. يصبح "واهياً للحيوانات المنوية"، وهي خطوة تعكس رغبته في منح الحياة دون تحمل أعباء المسؤولية التقليدية أو خطر فقدان المؤلم مرة أخرى.

"تلك الفتاة كانت آخر حدودي مع مفهوم الأبوة. بعدها، أصبحت أرى الأمر من منظور آخر. أُنح البذرة، أُنح فرصة للحياة، لكن دون قيود القلب أو رهبة الفقد. هذه هي حريتي، هذا هو تعويضي الوحيد عن كل ما سُلِب مني"⁽²⁸⁾.

يُشكل فقدان الابنة المحفز الأقوى لكل التغيرات اللاحقة في شخصية أمير. إنه لا يتحول تدريجياً، بل يُجبر على تحول جذري نتيجة هذه الفاجعة، مما يجعله شخصية معقدة ومحوراً لكل الرسائل الفكرية التي تُقدمها الرواية عن الألم، الفقد، والبحث عن معنى للحياة في عالم قاسٍ.

2. الشغف الفني مقابل القيود (لدى أمير والفتاة التي أحبها):

كيف يتجلى صراع الشغف الفني مقابل القيود كعامل داخلي وخارجي مؤثر في نمو وتطور شخصيتي أمير والفتاة التي أحبها في رواية "أبناء وأحذية".

يُعدّ الصدام بين الطموحات الفنية الحرة والقيود الاجتماعية أو الأسرية عاملاً محورياً في تشكيل وصقل شخصيتي أمير والفتاة التي أحبها في الرواية. هذا الصراع ليس مجرد حبكة فرعية، بل هو تجسيد لثيمة أوسع تتعلق بالحرية الفردية في مواجهة التقاليد والتوقعات المجتمعية⁽²⁹⁾.

لدى أمير:

يُظهر الرملي أن أمير كان يمتلك شغفاً عميقاً بالمسرح. هذا الشغف يمثل رغبة قوية في التعبير عن الذات، في الابتكار، وفي تجاوز الواقع القاسي من خلال الفن. هو جزء أصيل من هويته وطموحاته الفردية⁽³⁰⁾.

"المسرح هو نافذتي الوحيدة على عالم آخر، عالم يمكنني فيه أن أكون أي شيء، أي شخص، بعيداً عن جدران بيتنا المتصدعة، وأصوات الانفجارات التي لا تتوقف. كنت أرى نفسي على الخشبة، أقدم حكاياتنا، حكايات البشر الذين يصرخون بصمت"⁽³¹⁾.

القيود الأسرية والاجتماعية كحاجز⁽³²⁾، يقف والد أمير، الذي يُصور كشرطي، حائلاً أمام هذا الشغف. يفرض عليه دراسة تخصص لا يرغب فيه، وربما يرى في الفن تضيقاً للوقت أو مسلكاً غير مضمون. هذه القيود لا تُمثل مجرد خلاف عائلي، بل هي رمز لسلطة أبوية، ومجتمع يفضل الأمان والتقليد على الإبداع والمجازفة.

⁽²⁵⁾ الرواية.

⁽²⁶⁾ حسام سعود عبيد : تأثر الزمان المكاني على الأحداث والشخصيات في رواية تمر الأصابع لـ (محسن الرملي)، بحث منشور، مجلة لارك، العدد (2)، المجلد (16)، 2024، ص5.



"أبي لم يفهم أبداً ما معنى أن ترى روحك تتجسد على خشبة المسرح. بالنسبة له، كان المسرح لهوًا، وظيفته الحقيقية أن أكون رجلًا، أن أجد وظيفة مستقرة، حتى لو كانت تقتل روحي ببطء. "المسرح لن يطعمك خبزًا يا أمير!"، كان يرددها كتعويذة كلما ذكرت الأمر" (33).

تأثير الصراع على نمو الشخصية (34). هذا الصراع الداخلي (بين الرغبة في التعبير الفني والرضوخ للواقع) يُعزز من روح التمرد الكامنة لدى أمير. فبينما يدفعه فقدان ابنته للهروب الجسدي، فإن قيود الماضي، بما فيها تلك المتعلقة بشغفه الفني، تُسهم في تشكيل شخصيته المتمردة على القوالب التقليدية للأبوة والعلاقات في مرحلته اللاحقة. إن عدم تحقيقه لشغفه الفني يترك بداخله فراغًا أو حسرة تدفعه للبحث عن أشكال أخرى من التعبير عن الذات أو التعويض.

لدى الفتاة التي أحبها أمير:

الشغف الفني المشترك كرباط، هذه الفتاة، المولعة بالمسرح مثل أمير، تُمثل له روحًا شقيقة، وشريرًا في الحلم. وجود شخص يشاركه الشغف يُعزز من إحساس أمير بالشرعية لرغبته الفنية، ويُبرز قيمة هذا الجانب من حياته.

"عيناها كانتا تلمعان كلما تحدثنا عن شكسبير، أو عن مسرحيات 'أبي خليل القباني'. كانت تفهمني، تفهم جنوني بالكلمات، بالأداء، بتلك الحياة الأخرى التي نعيشها على الخشبة. لم أجد من يفهمني هكذا، أبدًا" (35).

تواجه هذه الفتاة قيودًا أشد من أمير، حيث يُجبرها والدها، وهو رجل دين، على دراسة الشريعة بدلًا من شغفها بالمسرح. هذه القيود هنا ليست أبوية فحسب، بل هي متجذرة في منظومة دينية واجتماعية أوسع.

"أخبرتني يومًا أن والدها أقسم ألا ترى باب المسرح ثانية. 'يقول إن المسرح فتنة، يا أمير. إن مصيري هو دراسة الشريعة، أن أكون خادمة للدين، لا للفن. كأي أرى روحي تُسحب مني قطعة قطعة'" (36).

تأثير الصراع على نمو الشخصية (37)، على الرغم من أن دور هذه الفتاة قد لا يكون محوريًا في السرد بعد سفر أمير، إلا أن قصتها تترك أثرًا عميقًا عليه. هي تُجسد صورة أخرى للمعاناة تحت وطأة القيود، وتُعد محفزًا إضافيًا لتمرد أمير وسعيه لتغيير حياته، ليس فقط بسبب صدمته الشخصية، بل أيضًا بسبب رؤيته لآثار هذه القيود على من يحب. إنها تُعلمه أن هناك ضحايا آخرين للبيئة المقيدة. قد يُمكن الافتراض أنها تتطور داخليًا لتصبح أكثر قوة أو انغلاقًا، أو حتى أكثر تمردًا صامتًا.

يتضح إذًا أن صراع الشغف الفني مع القيود ليس مجرد حدث عابر في الرواية، بل هو محرك داخلي وخارجي يُسهم في صقل شخصيتي أمير والفتاة التي أحبها، ويدفع أمير نحو مسارات غير تقليدية في حياته اللاحقة، مؤكدًا على قيمة الحرية الفردية والتعبير عن الذات في مواجهة واقع قاسٍ ومقيد.

3. البحث عن الهوية والمعنى (لدى أمير):

يبرز البحث عن الهوية والمعنى كدافع رئيسي وعامل داخلي يُسهم في نمو وتطور شخصية أمير في رواية "أبناء وأحذية" لمحسن الرملي.

يُعدّ البحث عن الهوية ومعنى الوجود من المحاور الفلسفية العميقة التي تتجسد بوضوح في شخصية أمير، خاصة بعد الصدمات المتتالية التي يواجهها. لم يعد أمير مجرد شخص يبحث عن مكان آمن، بل يبحث عن تعريف جديد لذاته ولمكانه في عالم يبدو وكأنه فقد معناه.



الانطلاق من الفراغ الوجودي⁽³⁸⁾، بعد فقدان ابنته وانهيار عالمه في العراق، يجد أمير نفسه في فراغ وجودي هائل. هويته كأب مكسوم، وكمواطن في وطن ممزق، تنهار. هذا الانهيار يدفعه ليس فقط للهروب الجسدي، بل للبحث عن معنى جديد لحياته التي أصبحت خالية من أي تعريف تقليدي أو مألوف.

"لم أعد أعرف من أنا. هل أنا ذلك الأب الذي فشل في حماية طفلته؟ أم أنا ذلك الشاب الذي خنق المسرح في روحه؟ كل ألقابي القديمة تلاشت مع كل خطوة ابتعدت فيها عن بغداد. كنت أبحث عن كلمة، عن جملة، عن أي شيء يُعرّفني مجدداً، لكن الفراغ كان يجيبني"⁽³⁹⁾.

تجريب الأدوار والعلاقات، في رحلته إلى إسبانيا وكولومبيا، لا يسعى أمير إلى الاستقرار بالمعنى التقليدي. بدلاً من ذلك، ينخرط في تجريب أدوار وعلاقات مختلفة. قراره بأن يصبح "واهب حيوانات منوية" هو تعبير صارخ عن بحثه عن هوية ومعنى يتجاوزان المألوف والمحدد. إنه يُعيد تعريف الأبوة على طريقته، ويُحاول أن يُصبح "مُعطي حياة" بطريقة مُتحررة من الأعباء العاطفية التقليدية، ربما كنوع من التعويض أو التمرد.

"كان كل تبرع أقوم به أشبه بوضع حجر أساس لهوية جديدة. لم أكن أباً بالمعنى التقليدي، لكنني كنت مُساهمًا في الوجود. كنت أزرع بذوري في عوالم لا أعرفها، كأني أعلن وجودي في أقصى نقاط الأرض، بعيداً عن الرماد الذي خلفته ورائي. أليس هذا شكلاً من أشكال الخلود؟ أن تكون موجوداً في الآخرين، دون أن تتحمل عبء وجودك الخاص؟"⁽⁴⁰⁾.

هذا البحث عن الهوية والمعنى يقود أمير إلى طرح أسئلة فلسفية عميقة حول مصير الإنسان، وهل هو مُسير أم مُخير. تجربته القاسية تجعله يتشكك في الأقدار التقليدية، ويدفعه إلى محاولة السيطرة على جزء من مصيره بطرق غير تقليدية، حتى لو كانت هذه السيطرة تكمن في رفض تحمل المسؤولية الكاملة عن أبنائه البيولوجيين.

"كلما نظرت إلى الخريطة، وتساءلت عن مصائر الأبناء الذين وهبتهم الحياة، ازداد يقيني بأن القدر ليس قضاءً مبرماً بالضرورة. ربما نحن من نصنع أقدارنا، حتى لو كانت أقداراً غريبة. أنا هنا، أُغير المعادلة، أصبح خالقاً على طريقتي. هل هذا هروب أم سيطرة؟ ربما كلاهما، لكنه طريقتي لأكون أن"⁽⁴¹⁾.

رحلة البحث عن الهوية والمعنى تُحدث تحولات عميقة في منظومة القيم والمعتقدات لدى أمير. فمفاهيمه عن العائلة، الحب، المسؤولية، وحتى الأخلاق، تتغير وتتجاوز الحدود المألوفة. يصبح شخصاً مُركباً، لا يمكن تصنيفه بسهولة ضمن الأطر التقليدية.

إن رحلة أمير في البحث عن الهوية والمعنى ليست رحلة سهلة أو خطية؛ إنها مليئة بالشكوك، والتجارب غير التقليدية، وإعادة تعريف لكل ما كان يؤمن به؛ وهذا البحث هو الذي يُضفي على شخصيته ديناميكية استثنائية، ويجعلها محركاً رئيسياً للرسائل الفكرية العميقة التي تسعى الرواية لإيصالها حول التعافي من الصدمة، والحرية الفردية، ومعنى الوجود في عالم مُتغير⁽⁴²⁾.

4. القيم الأخلاقية المتغيرة:

تُعدّ القيم الأخلاقية لدى الشخصيات انعكاساً مباشراً لتجاربهم الحياتية، خاصةً عندما تكون هذه التجارب قاسية وغير تقليدية⁽⁴³⁾. في رواية "أبناء وأحذية"، يخضع أمير لتحولات عميقة في منظومته القيمية، وهي ليست مجرد تغييرات سطحية، بل هي نتاج صراع داخلي وجودي يدور في بيئات مختلفة.



الانطلاق من منظومة قيم تقليدية (مفترضة)⁽⁴⁴⁾، في بداية حياته، قبل الصدمة الكبرى، يُفترض أن أمير كان يحمل منظومة قيم تقليدية إلى حد ما، متأثراً ببيئته العراقية المحافظة، ومفهوم الأبوة والعائلة والمسؤولية كما تُملئها التقاليد. يُمكن الاستدلال على ذلك من صراعه مع والده بشأن دراسة المسرح، مما يُشير إلى وجود توقعات قيمية معينة يُفترض أن يتبعها.

"لقد تربيت على أن الأب هو السند، العائلة هي الأساس، وأن كل خطوة تخطوها يجب أن تكون محسوبة للحفاظ على الشرف والاسم. كنت أؤمن بأن الرجل يولد ليكون حامياً، ومعيلاً، وأن مسؤولية الأبناء مقدسة لا تُفترط"⁽⁴⁵⁾.

الصدمة كعامل هدام للمنظومة القديم⁽⁴⁶⁾، تُشكل فاجعة فقدان الابنة نقطة الانهيار لهذه المنظومة القيمية التقليدية. عندما يجد أمير نفسه عاجزاً عن توفير حتى دفن لائق لابنته، تتحطم لديه مفاهيم المسؤولية، الحماية، وحتى معنى الحياة نفسها. هذا الانهيار يُلقي به في دوامة من التساؤلات الأخلاقية.

:في تلك الليلة الباردة، وأنا أحمل علبة الحذاء الفارغة، شعرت أن كل ما تعلمته عن الصواب والخطأ، عن المقدس والمدنس، قد انهار أمامي كجدار طيني. أي شرف يبقى حين لا تستطيع دفن فلذة كبدي؟ أي مسؤولية هذه التي تتبخر مع أول قذيفة؟"⁽⁴⁷⁾.

إعادة تعريف القيم في الغربية (إسبانيا وكولومبيا)، في البيئة الجديدة، بعيداً عن قيود وثقافة مجتمعه الأصلي، يبدأ أمير في إعادة بناء منظومته القيمية، ولكن بطريقة غير تقليدية وأحياناً صادمة. قراره بأن يصبح "واهب حيوانات منوية" دون تحمل مسؤولية الأبوة المباشرة هو ذروة هذا التحول الأخلاقي.

"سألتني إحدى النساء هنا، ألا تخشى الله يا أمير؟ أن تمنح الحياة ثم تتخلي عنها؟" ابترست مراراً. 'أخشى الله في العدل، لا في القوالب. العدل أن تمنح ما لديك لمن يحتاجه، وأن تتحرر من قيود لم تعد تخدم إلا الألم. أنا أمنح الحياة، لا أمنح العباء. أليس هذا أكثر صدقاً من أب يُجبر على أن يكون أباً وهو ميت من الداخل؟"⁽⁴⁸⁾.

"لم أعد أرى الحياة في إطار الزواج والأنجاب التقليدي. الحياة هي الوجود، بكل أشكاله. والحرية هي أن تختار كيف تُساهم في هذا الوجود. ربما أبنائي هؤلاء، المنتشرون في العالم، يحملون نوعاً من الحرية التي لم أستطع أن أمنحها لابنتي الوحيدة التي فقدتها"⁽⁴⁹⁾.

يصبح التمرد على المفاهيم التقليدية والبحث عن التحرر قيمة أخلاقية بحد ذاتها بالنسبة للأمير. هو لا يرى في أفعاله "خطأ" بالضرورة، بل يراها استجابة منطقية ومبررة لألم غير تقليدي، ومحاولة لإعادة السيطرة على جزء من حياته بعد أن فقد السيطرة على أهم جزء فيها.

التعقيد الأخلاقي لا يقدم إجابات سهلة⁽⁵⁰⁾، لا يُقدم الرملي شخصية أمير كشخصية "جيدة" أو "سيئة" بشكل قاطع، بل هي شخصية رمادية أخلاقياً، تعكس تعقيد التجربة الإنسانية عندما تُدفع إلى أقصى حدودها. هذا التغير في القيم يُثري الرسالة الفكرية للرواية، ويُجبر القارئ على التساؤل حول مفهوم الصواب والخطأ في سياقات استثنائية.

إن تحول القيم الأخلاقية لدى أمير هو أحد أبرز مظاهر نموه وتطوره، وهو نتاج مباشر للصدمة، والبيئة الجديدة، وبحثه عن معنى لحياته. هذا التغير لا يجعله مجرد شخصية تتبنى أفكاراً جديدة، بل شخصية تُعيد صياغة جوهر وجودها على ضوء تجاربها القاسية.



العوامل الخارجية (الظروف الاجتماعية، السياسية، العلاقات الإنسانية):

1. الظروف السياسية والاجتماعية في العراق:

تشكل البيئة العراقية المضطربة بكل ما تحمله من صراعات سياسية واجتماعية، الخلفية القاتمة التي تنطلق منها الأحداث، وتُصبح المحفز الخارجي الأقوى الذي يدفع الشخصيات، وعلى رأسها أمير، نحو تحولات جذرية ومؤلمة. الرواية، وإن لم تُحدد حرباً بعينها، فإنها تجسد المناخ العام للعراق خلال فترات الصراع والفوضى.

تُعدّ الظروف الأمنية المتدهورة والعنف المتفشي في العراق السبب المباشر لمأساة أمير الكبرى فقدان ابنته، هذا الحدث ليس حادثاً فردياً معزولاً، بل هو نتيجة منطقية لواقع عام يُهدد الحياة ويُدمر الأسر. إن عجز أمير عن حماية ابنته، ووصوله إلى حد دفنها في علبة حذاء، هو تجسيد حي لمدى تأثير الفوضى السياسية والاجتماعية على مصير الفرد.

"لم يكن صوت القذيفة التي سقطت قريباً من بيتنا مجرد ضجيج. كان صوت انهيار عالمي بأكمله. لم يكن موت ابنتي قضاءً وقدرًا فحسب، بل كان حكمًا قاسياً أصدره هذا البلد المريض، شوارعه المليئة بالثقوب، سماؤه الملوثة بالرماد والدماء"⁽⁵¹⁾.

تفرض الظروف الاجتماعية في العراق قيوداً خانقة على الحريات الشخصية والطموحات الفردية. يظهر هذا بوضوح في صراع أمير مع والده بشأن دراسة المسرح، وكذلك في قصة الفتاة التي أحبها والمجبرة على دراسة الشريعة. هذه القيود تعكس مجتمعاً يُفضل التقاليد والأمان على الإبداع والشغف، مما يُولد إحساساً بالاختناق لدى الشخصيات الشابة.

"لم تكن بغداد تلك المدينة التي أحلم بها. لم يكن فيها متسع لخشبة مسرح، أو لقلب عاشق للفن. كانت جدرانها تضيق، لا من الإسمنت، بل من التقاليد التي تخنق الأنفاس، والقوانين التي تسجن الأحلام. شعرت أنني أسير في نفق لا نهاية له، وكل صوت بداخلي يُدفع إلى الصمت"⁽⁵²⁾.

إن البيئة غير المستقرة تدفع الشخصيات نحو خيار الهروب والنزوح كحل وحيد للبقاء أو للبحث عن حياة ذات معنى. رحلة أمير إلى إسبانيا وكولومبيا ليست مجرد مغامرة، بل هي ضرورة فرضتها الظروف. هذا النزوح يُصبح نقطة تحول كبرى، حيث تُجبر الشخصية على التكيف مع بيئات جديدة، وإعادة تعريف ذاتها بعيداً عن جذورها المتألمة.

"عندما صعدت إلى الطائرة، لم أكن أترك وطناً فحسب، بل أترك شبحاً كان يُطاردني في كل زاوية. كان العراق قد أصبح ذكرى مؤلمة، كصورة باهتة لا أريد النظر إليها. كان الهروب هو البوابة الوحيدة لنجاة الروح، حتى لو كانت النجاة تعني الضياع في مكان آخر"⁽⁵³⁾.

تأثيرها على القيم والمعتقدات⁽⁵⁴⁾، الظروف القاسية تُجبر الشخصيات على إعادة تقييم منظومتها القيمية والأخلاقية. عندما تنهار المفاهيم التقليدية للأمان، الحماية، وحتى العدالة في ظل الفوضى، تبدأ الشخصيات في البحث عن معانٍ وقيم جديدة، حتى لو كانت هذه القيم تبدو غير تقليدية أو صادمة للمجتمع الأصلي. هذا ما حدث لأمير في مفهومه للأبوة والمسؤولية.

إن الظروف السياسية والاجتماعية في العراق في رواية "أبناء وأحذية" لا تُقدم كخلفية فحسب، بل كقوة دافعة ومُشكلة للشخصيات. إنها المسرح الذي تنبثق منه الصدمات، وتتوالد منه الرغبة في التغيير، وتُفرض منه خيارات الهروب، مما يجعل الشخصيات نامية بشكل جذري وواقعي استجابة لضغط الواقع الخارجي.

2. التجارب في الغربية (إسبانيا وكولومبيا):



تُمثل رحلة أمير إلى إسبانيا ثم كولومبيا ليست مجرد انتقال جغرافي، بل هي بمثابة فضاء جديد للتحويل والتجريب، بعد أن كانت البيئة العراقية مُقيدة ومُحطمة. في الغربية، يجد أمير نفسه في مواجهة ثقافات وأنماط حياة مختلفة تمامًا، مما يُتيح له فرصة لإعادة تعريف ذاته وقيمه بعيدًا عن ثقل الماضي والقيود السابقة.

حرية البيئة الجديدة والتخلص من القيود، تُقدم إسبانيا وكولومبيا لأمير مساحة من الحرية لم يكن ليحدها في العراق. هذه الحرية لا تقتصر على الجانب السياسي أو الاجتماعي، بل تمتد إلى حرية التفكير والتعبير، وتجريب أنماط حياة غير تقليدية. بعيدًا عن نظرة المجتمع العراقي وعاداته الصارمة، يُصبح أمير قادرًا على التصرف بناءً على قناعاته الجديدة، حتى لو كانت صادمة للمعايير التقليدية.

"في مدريد، لم تكن هناك جدران خفية تُحاصرني، ولا عيون تراقب كل خطوة أخطوها. كان الهواء مختلفًا، والألوان أكثر صخبًا. شعرت أنني أتخلص من طبقات سميكة من الخوف والتردد. هنا، يمكنني أن أصرخ، أن أضحك بصوت عالٍ، أو حتى أن أكون لا أحد. هذه الحرية التي لم أعرفها قط، كانت بمثابة ترياق لروحي المريضة" (55).

التنوع الثقافي والعلاقات الإنسانية الجديدة (56)، ينخرط أمير في علاقات إنسانية متنوعة مع نساء من ثقافات مختلفة (إسبانية وكولومبية). هذه العلاقات تُساهم في صقل شخصيته بطرق عديدة. فهو يتعلم، يتأثر، ويُجرب أنماطًا جديدة من الارتباط البشري تختلف عن تلك التي عرفها في وطنه. هذه التفاعلات تُساهم في نضجه العاطفي، وتوسع من مداركه حول مفهوم الحب والعائلة، حتى لو كانت علاقاته غالبًا ما تكون غير تقليدية ومحدودة بقراره بعدم تحمل المسؤولية الكاملة عن الأبناء.

"كانت عينا لورا الإسبانية تُخبرني عن حب خفيف، لا يحمل أثقال الماضي. أما ماري الكولومبية، فكانت تمنحني نوعًا من الدفاع الهادئ، دون أسئلة كثيرة. لم أبحث عن عائلة هنا، بل بحثت عن لحظات عابرة تملأ الفراغ. كل امرأة منهن كانت تُعلمني شيئًا جديدًا عن نفسي، عن قدرتي على الاتصال، حتى لو كان اتصالًا غير كامل" (57).

الغربة توفر لأمير المساحة الكافية لتطبيق رؤيته الجديدة والمُتمردة للأبوة، قراره بأن يصبح "واهب حيوانات منوية" هو نتيجة مباشرة لتجاربه في الغربية، حيث لا تُعد هذه الممارسة مُجرمة أو مُستهجنة بنفس القدر كما قد تكون في بيئته الأصلية. هذه التجربة تُمكنه من التعويض عن فقدان ابنته بطريقة يتحكم هو فيها، دون تحمل المخاطر العاطفية للمسؤولية الأبوية التقليدية.

"في تلك العربة الطبية، ومع كل أنبوب كنت أملؤه، شعرت أنني أكتب فصلًا جديدًا في كتاب حياتي. لم يكن هذا هروبًا من الأبوة، بل كان تعريفًا جديدًا لها، تعريفًا يناسب روحي المنهكة. هنا، لا أحد يُحاسِبني، لا أحد يسألني 'لماذا؟' أو 'كيف؟'. إنها طريقي لأمنح الحياة، دون أن أُجرح بها مجددًا" (58).

في الغربية يجد أمير فرصة لإعادة تعريف ذاته بعيدًا عن الألقاب والقيود التي لازمته في العراق. يُصبح راحلًا، باحثًا عن معنى جديد للوجود، ومُجربًا لهويات مختلفة. هذا البحث عن معنى لا ينفصل عن تجاربه في الغربية، حيث كل مدينة، كل علاقة، وكل قرار جديد يُساهم في نحت شخصيته المتطورة.

تُشكل التجارب في الغربية إداةً عاملاً محوريًا في ديناميكية شخصية أمير. فهي لا تُقدم له فقط ملأًا من الماضي، بل تمنحه الأدوات والمساحة ليتطور، ويُعيد تعريف قيمه، ويُجرب مفاهيم جديدة للأبوة والوجود، مما يجعل تحولاته في الرواية عميقة ومُقنعة.

3. العلاقات الأسرية (مع والده، والدته):



تلعب العلاقات الأسرية وخاصة تلك التي تربط أمير بوالديه، دوراً محورياً في تشكيل شخصيته، حتى بعد ابتعاده عنهم جسدياً. هذه العلاقات ليست مجرد جزء من الخلفية الدرامية، بل هي قوة دافعة تؤثر في قراراته، وتوجهاته، وحتى في تمرده على المفاهيم التقليدية.

العلاقة مع الأب: صراع السلطة والتوقعات:

- السلطة الأبوية: يمثل والد أمير، الذي يُصور كشرطي، سلطة أبوية تقليدية. هذا يعني أنه يمثل النظام، التقاليد، والتوقعات المجتمعية التي قد يراها أمير خانقة لطموحاته ورغباته.
- تقييد الطموحات: رفض الأب لطموح أمير في دراسة المسرح هو مثال واضح على هذا الصراع. إنه يمثل صراعاً بين رغبة الابن في التعبير عن ذاته، ورغبة الأب في توجيهه نحو مسار "أكثر أماناً" أو "أكثر جدوى" من وجهة نظره.
- مثال: "كانت نظرة أبي إليّ كافية لإخماد أي شرارة حماس بداخلي. لم يكن يرى في المسرح سوى مضیعة للوقت، وهواية لا تُطعم خبزاً. كان يريدني أن أكون مثله، أن أتبع مساراً واضحاً، أن أكون 'رجلاً' بالمعنى الذي يفهمه"⁽⁵⁹⁾.

هذا الصراع يُغذي روح التمرد لدى أمير، ويجعله أكثر تصميمًا على رفض القوالب الجاهزة. حتى بعد سفره، يظل هذا الصراع يؤثر في قراراته، ويُفسر جزءاً من تمرده على مفاهيم الأبوة التقليدية، وسعيه لتشكل حياته الخاصة بعيداً عن توقعات والده.

العلاقة مع الأم: الدعم الصامت (المحتمل):

- دور الأم: على عكس الأب، قد تُمثل الأم في الرواية صوتاً أكثر تفهماً أو تعاطفاً مع أمير. قد تكون هي الشخصية التي تُقدم له الدعم العاطفي، حتى لو كان دعماً صامتاً أو غير مباشر.
- تأثيرها على أمير: حتى لو لم يكن دور الأم بارزاً في الأحداث، فإن وجودها قد يمثل مصدر قوة خفي لأمير. قد يكون دعمه لها، أو حتى رغبته في عدم خذلانها، دافعاً له للمضي قدماً، حتى في أصعب الظروف.
- "لم تكن أُمي تتكلم كثيراً، لكنني كنت أرى في عينيها قلقاً عليّ، وحباً لا يُشترط. ربما لم تفهم شغفي بالمسرح، لكنها كانت تحترم حزني، وتلملم شظايا روحي بصمتها الدافئ. كان جزء مني يرفض أن يخذلها، أن يجعلها تشعر بأنها ربت ابناً ضائعاً"⁽⁶⁰⁾.

تأثير العلاقات الأسرية على مفهوم الأبوة لدى أمير:

تجربة أمير مع والديه، بكل ما فيها من صراعات ودعم، تُشكل جزءاً من خلفيته الفكرية والعاطفية، وتؤثر في تصوره لمفهوم الأبوة. قد يرفض أمير نموذج والده، أو قد يحاول أن يتبنى جوانب إيجابية من علاقته بوالدته في تعامله مع الأبناء الذين ينجبهم.

"لم أكن أريد أن أكون نسخة من أبي، حتى لو كان ذلك يعني أن أكون عكسه تماماً. لم أريد أن أفرض قيوداً على أحد، أو أن أعيش حياة مُعدة سلفاً. ربما كان هذا هو السبب في أنني اخترت أن أكون مُعطياً للحياة، لا مُتحكماً فيها"⁽⁶¹⁾.

تُمثل العلاقات الأسرية في "أبناء وأحذية" قوة مؤثرة في تشكيل هوية أمير، وتوجهاته، وحتى في تمرده على المفاهيم التقليدية. إنها جزء من الماضي الذي يلاحقه، وجزء من الحاضر الذي يُشكل قراراته، وجزء من المستقبل الذي يسعى لرسمه على طريقته الخاصة.

المبحث الثالث: كيف يُوظف محسن الرملي تقنيات سردية معينة (مثل المونولوج الداخلي، الفلاش باك، الحوار، والرمزية) لإبراز دينامية الشخصيات وتقديم تطورها بشكل مقنع للقارئ؟



يُبرز محسن الرملي في رواية "أبناء وأحذية" التحولات العميقة التي تطرأ على شخصياته، خاصة الشخصية المحورية "أمير"، مستخدماً مجموعة متقنة من التقنيات السردية التي لا تكفي بالسرد المباشر، بل تدفع القارئ ليعيش هذا التطور ويقتنع به.

1. المونولوج الداخلي وتيار الوعي:

تُعَدُّ هذه التقنية بمثابة نافذة مباشرة على العوالم النفسية للشخصيات، حيث تتكشف الأفكار، الصراعات، والتحولات الداخلية دون وسيط. الرملي يستخدمها لإظهار كيف يتغير وعي الشخصية من الداخل إلى الخارج⁽⁶²⁾.

نرى كيف تتشكل قناعات أمير وتتبدل رؤاه للعالم ولذاته، وللمعنى الحقيقي للأبوة بعد الفاجعة، لا يُخبرنا الكاتب عن التغيير، بل يجعلنا نعيشه معه لحظة بلحظة، مما يُعزز من مصداقية التحول.

وهي مقنعة لأنها تُحاكي الطريقة المعقدة وغير الخطية التي يفكر بها البشر. التغيير النفسي غالباً ما يبدأ في دهايلز العقل والقلب قبل أن يظهر في الأفعال.

في بداية الرواية (بعد الفاجعة):

كانت عينيّ تحدقان في علبة الحذاء، أرى فيها ليس وجه ابنتي الميت، بل انعكاساً لوجهي الذي تحجر من الذنب والعجز. كيف يمكن لروحي أن تستقيم بعد هذا؟ كيف يمكن ليدين لم تستطيعا حماية جسد صغير، أن تحملا مسؤولية حياة أخرى؟ كانت بغداد تلفظني، وذكراتي تلاحقني كأشباح لا ترحم. كنت أحتاج إلى هواء آخر، إلى جلد آخر، إلى لا شيء يربطني بالماضي الأبوي المدمر⁽⁶³⁾.

بعد التحول (في إسبانيا/كولومبيا):

"ربما لم أكن أباً صالحاً لتلك الروح التي غادرت. لكنني هنا، أُمْنح الحياة دون قيود. لا أرى الوجوه، لا أسمع البكاء الليلي، لا أتحمل الخوف من فقدان. إنها حرية من نوع آخر. لست أهرب من الأبوة، بل أعيد تعريفها على طريقتي. هؤلاء الأبناء، الذين لا أعرفهم، هم أبنائي بطريقة ما. هم دمي المنتشر في العالم، لا يحملون اسمي، لكنهم يحملون قطعة من حكايتي. هذا هو تعويضي، هذا هو عزائي. هل أنا مجنون؟ ربما. لكنني على الأقل حي"⁽⁶⁴⁾.

يُظهر المثال الأول حالة اليأس والشعور بالذنب التي تُشكل دافع الهروب. بينما يكشف المثال الثاني عن فلسفة جديدة تبناها أمير حول الأبوة، وتعويضه عن الألم بأسلوب غير تقليدي، مما يبرز نموه (أو تحوله) النفسي من الأب المنهزم إلى الشخص الذي يُعيد تعريف الحياة لنفسه.

2. الاسترجاع الزمني:

يستخدم الرملي هذه التقنية ببراعة لخلق نسيج زمني غير خطي، يكشف عن الطبقات العميقة لشخصياته⁽⁶⁵⁾.

لا تظهر الشخصيات ككيانات جامدة، بل هي نتاج سلسلة من الخبرات الماضية. الفلاش باك يسمح للقارئ بالعودة إلى لحظات حاسمة في حياة الشخصيات، مما يوضح الأسباب الجذرية لسلوكهم الحالي وتحولاتهم. بالنسبة لأمير، تُقدم الفلاش باك مشاهد مأساة فقدان ابنته، لحظات الحب المفقودة مع الفتاة العاشقة للمسرح، وتفاصيل حياته في العراق، مما يُفسر دوافعه للهروب والتغيير.

هذه التقنية تجعل القارئ يربط الماضي بالحاضر، ويدرك كيف أن التجارب السابقة تُلقِي بظلالها على الشخصية، وتوجه قراراتها، وتُشكل ملامحها المتغيرة.

لحظة الاسترجاع الزمني (أثناء وجود أمير في إسبانيا):



"كانت رائحة الياسمين تملأ هواء مدريد، لكنني كنت أشم رائحة دماء ابنتي. تذكرت ذلك اليوم المشؤوم، الطرقات المحطمة، أصوات القذائف التي كانت تتسابق لتمزق السماء. كان وجهها الصغير شاحباً، بارداً، كدمية مهملة. لا أزال أرى علبة الحذاء الفارغة، كيف أصبحت هي، آخر ملاذ لطفلي. في تلك اللحظة، أدركت أن جزءاً مني قد دُفن معها في ذلك الصندوق الرمزي. كل ما جئت أبحث عنه هنا، هو محاولة لدفن ذلك الجزء الميت من روحي بطريقة مختلفة، في تربة مختلفة" (66).

هذا الاسترجاع الزمني لا يُجبر القارئ على تخيل الماضي، بل يجعله يشاركه في الألم، ويفهم أن هروب أمير إلى مدريد ليس مجرد هروب جسدي، بل محاولة نفسية للتعامل مع الصدمة، مما يبرر دوافعه للتغيير في حياته الجديدة.

3. الحوار:

الحوار في روايات الرملي ليس مجرد تبادل للكلمات، بل هو مرآة تعكس التطور النفسي والاجتماعي للشخصيات.

تتغير طبيعة حوارات الشخصية بتغيرها؛ فالحوار يعكس تحولات في نبرة الصوت، اختيار الكلمات، المواضيع المطروحة، وحتى القدرة على التعبير عن المشاعر أو إخفائها. الشخصية التي كانت مُترددة قد تُصبح أكثر حسمًا، أو التي كانت ساذجة قد تظهر نضجًا وسخرية في حديثها (67).

الحوار الواقعي يجعل الشخصيات تبدو حية وقابلة للتطور، فالبشر يتغيرون في طريقة تفاعلهم وتعبيرهم عن أنفسهم مع مرور الوقت (68).

حوار أمير مع فتاة عراقية في بداية الرواية (قبل السفر):

"لا أستطيع فهمك يا أمير. كيف تترك المسرح الذي تعشقه وتذهب لتدرس شيئاً لا تحبه؟" قالت وهي تنظر في عينيه بأسف. رد أمير بنبرة مثقلة: "لا خيار لي. أبي ... أبي يريد ذلك. إنها الحياة هنا. لا يمكننا دائماً فعل ما نريد" (69).

حوار أمير مع إحدى النساء في إسبانيا (بعد تحوله):

سألتها الفتاة الإسبانية: "ألا تشعر بالمسؤولية تجاه هؤلاء الأطفال الذين ستمنحهم الحياة؟" رد أمير بابتسامة باهتة: "المسؤولية؟ أي مسؤولية تتحدثين عنها؟ لقد تعلمت أن الحياة لا تمنحنا ضمانات. أُنح قطعة مني، أُنح بداية. أما النهاية، أو المسار، فهو لهم. لقد أوفيت بديني للعالم بطريقتي" (70).

يُظهر الحوار الأول استسلام أمير للقيود الاجتماعية والأبوية. أما الحوار الثاني، فيكشف عن فلسفته الجديدة المتمردة على مفهوم المسؤولية التقليدية، وتصالح مع ذاته (أو تبرير لأفعاله) بطريقة مختلفة تمامًا، مما يُبرز تحولاً جذرياً في قيمه ومعتقداته.

4. تصوير الشخصية من خلال الفعل ورد الفعل:

فالأفعال أقوى من الأقوال في إبراز التغيير، كما لا يكتفي الرملي بسرد التغييرات التي طرأت على الشخصيات، بل يُظهرها للقارئ من خلال أفعالها الملموسة وردود أفعالها تجاه الأحداث والمواقف المختلفة.

مثال (فعل يبرز التطور):

في العراق: "بعد دفن ابنته، جلس أمير أياماً طويلة في غرفته، لا يخرج، لا يأكل، يتجنب النظر في عيني والديه، كأنه يريد أن يختفي." (فعل رد فعل سلبي، انغلاق، يأس). في إسبانيا (بعد التحول): "لم



يتردد أمير في ملء الاستثمارات وتقديم عينات متتالية. كان الأمر بالنسبة له أشبه بالطقس، بالواجب الجديد. ابتسامته كانت خالية من الألم، مليئة بنوع من الرضا الغريب. كان يرى في كل قطرة يمنحها، انتصاراً صغيراً على فقدان الكبير". (فعل إيجابي، مبادرة، يأس تحول لرضا)⁽⁷¹⁾.
الأفعال هي المعيار الأصدق للحكم على الشخصية. رؤية الشخصية تتصرف بطرق جديدة أو مختلفة عما كانت عليه في البداية تجعل القارئ يقتنع بأنها قد تطورت بالفعل، وأن هذا التطور ليس مجرد ادعاء سردي.

5. الرمزية:

يُعرف الرمز الرملي بأسلوبه الغني بالرمزية، وهذه الرموز غالباً ما تكون مرآة لتطور الشخصيات ودلالات الرواية.

يستخدم الرمز الرملي رموزاً تتغير دلالاتها مع تطور الشخصيات وتجاربها، مما يُعزز فهم القارئ للتغيير. تضفي الرمزية عمقاً فلسفياً على تطور الشخصية، وتجعل القارئ يربط بين التحولات الداخلية للشخصية وتغير معنى الرموز في الرواية⁽⁷²⁾.

في بداية الرواية: "كانت علبة الحذاء الفارغة في يد أمير، رمزاً لا يُنسى للحزن الأبدي، للموت الذي لا يُكرم، للفشل الذي لا يغتفر". (الرمز: الحذاء = الفقدان والمأساة).

بعد التحول: "كلما رأى أمير زوجاً جديداً من الأحذية في واجهة محل، ابتسم ابتسامة غامضة. لم تعد الأحذية بالنسبة له مجرد أغطية للأقدام أو ثوابيت صغيرة. لقد أصبحت تذكّره بالخطوات التي سيخطوها أبنائهم، أبنائه الذين لا يعرفهم، في أنحاء مختلفة من العالم. أصبحت الأحذية ترمز لمسارات جديدة، لحياة تمنح دون قيود". (الرمز: الحذاء = الحياة الجديدة، الأبناء غير المرئيين، المسارات المتفرقة).

تغير دلالة "الحذاء" من رمز للفقد والمأساة إلى رمز للحياة الجديدة والأبناء المنتشرين، يعكس تحول أمير من حالة اليأس والذنب إلى حالة من التصالح أو إعادة تعريف الأبوة، وهذا يُقنع القارئ بعمق التحول في شخصية أمير.

6. وصف البيئة المحيطة وتأثيرها:

البيئة في روايات الرمز ليست مجرد خلفية ثابتة، بل هي عنصر فعال يؤثر ويتأثر بالشخصيات، ويُبرز تطورها.

يُظهر الرمز كيف أن انتقال الشخصية من بيئة إلى أخرى يؤثر في تشكيلها ودفعها نحو التغيير؛ كما يوضح أن البشر يتأثرون بشكل كبير ببيئاتهم. عندما يرى القارئ الشخصية تتغير استجابة للظروف المحيطة بها، يصبح هذا التطور أكثر واقعية⁽⁷³⁾.

وصف بغداد (قبل السفر):

"كانت بغداد كتلة من الخراب الرمادي، الغبار يكسو كل شيء، ورائحة البارود لا تفارق الأنف. كل زاوية تذكّرني بخسارة، وبصوت انفجار كان أقرب إلى قلبي من أنسياب دمي. في هذه المدينة، لم يكن للنمو مكان، فقط للذلف والتلاشي"⁽⁷⁴⁾. (البيئة محفزة للركود واليأس).

وصف مدريد (بعد السفر):

"مدريد كانت تضج بالحياة، ألوان زاهية، ضحكات عالية، موسيقى تعانق الأرصفة. شعرت أن رنتي تتنفس هواءً مختلفاً، هواءً لم يلوّثه الخوف والذنب. هنا، لم يكن ماضي يلاحقني بنفس الشدة. كانت هذه المدينة تعدني ببداية، لا بنهاية"⁽⁷⁵⁾. (البيئة محفزة للتحويل والأمل).



المقارنة بين وصف بغداد المدمرة ومدرية النابضة بالحياة تُظهر كيف أن البيئة تُسهم في التحول النفسي للأمير، بغداد قديته وأثقلته، بينما مدرية حررته ومنحته فرصة للبدء من جديد، مما يبرر نموه وتغييره.

بتوظيف هذه التقنيات مجتمعة وبشكل متناغم، ينجح محسن الرملي في تقديم شخصيات ليست مجرد أسماء على ورق، بل كائنات حية تتنفس وتتغير وتتأثر، مما يضفي عمقاً ومصداقية على السرد الروائي ويجعل تطورها مقتنعاً للقارئ.

ملاحم الهوية المفتحة عبر ذاكرة المكان حاضرة، يقول:
"أمضيت في ريوسورو وضواحيها من القرى القريبة ثمانية أعوام، وأنجبتُ اثني عشر طفلاً، إلى أن ظهرت إيراسيما في حياتي، فشغفتني عشقاً، بل استبدعت قلبي وغيّرت حياتي وعلاقتي بالنساء إلى الأبد"⁽⁷⁶⁾.

كانت تلك الأعوام عمراً كاملاً بالنسبة لي، ولو أنها كانت كل حياتي لكفتني. مفعمة بالصحة والراحة والسلام الروحي والمحبة والمتعة والحرية والنسيان، كما جعلتني أتعرف على الطبيعة لأول مرة على النحو القريب، الحميم، المتداخل وأحببتها، بعد أن كنت منذ صغري في القرية لا أحب الزراعة والحقول والنباتات والحيوانات، ولا أهتم بمعرفة أي شيء عنها ولا وجود لها في نفسي، ولم أكتث يوماً بمعرفة أسمائها. بينما، وسط هذا العالم الطبيعي كله: الغابات، الجبال، الوديان، الينابيع، الفراشات، الفواكه، الطيور، الزواحف، الخضروات، الأزهار وشتى أنواع الحيوانات والهواء النقي، المناخ المعتدل، المطر الدافئ، الغيوم المتحركة، متغيرة الأشكال والألوان ... حتى الهواء، صرت أستنشقه بشكل آخر ... أصبحت أشعر بأنني جزء من الطبيعة، وأعرف الكثير من تفاصيلها وأسرارها، أكاد أتحدث لغاتها بكل حواسي، وقد حاورتها طويلاً أثناء رحلاتي المتكررة إلى القرى القريبة التي عرّفتني عليها هاني ... الجميع يناديني الأمير العربي، منذ أن عرّفهم هاني علي"⁽⁷⁷⁾.

المبحث الرابع: إلى أي مدى يؤثر نمو الشخصيات وتطورها في بناء الحبكة الروائية وتصاعدها، وفي تشكيل الرسائل الفكرية والأبعاد الفلسفية التي تسعى الرواية لإيصالها حول مفاهيم الأبوة، الفقد، الحرية، والبحث عن الهوية؟

إن النمو والتطور الذي يطرأ على الشخصيات في رواية "أبناء وأحذية" ليس مجرد سمة جمالية تضاف للنص، بل هو عنصر بنيوي حيوي يُشكل جوهر الحبكة الروائية ويدفعها، كما أنه المحور الذي تُبنى عليه الرسائل والأبعاد الفكرية العميقة التي يسعى محسن الرملي لإيصالها. تتشابك هذه العناصر بشكل لا يمكن فصله، فكل تطور في الشخصية يُحدث أثراً في مسار القصة ويُعمّق من دلالاتها.

1. تأثير نمو الشخصيات على بناء الحبكة الروائية:

تُعد الشخصيات النامية المحرك الأساسي لديناميكية الحبكة، وتجعلها أكثر تعقيداً وإثارة:

- دفع الأحداث وتصاعدها غير المتوقع: بما أن الشخصيات تتغير وتتفاعل مع الظروف بشكل مختلف، فإن قراراتها وأفعالها لا تظل ثابتة. هذا التغيير هو ما يدفع الحبكة إلى الأمام ويخلق تحولات غير متوقعة في مسار الأحداث.

مثال: قرار أمير المفاجئ بالهروب من العراق بعد فاجعة ابنته، ثم قراره اللاحق بأن يصبح "واهباً للحيوانات المنوية" في الغربية، هي كلها قرارات نابغة من تطوره النفسي العميق. هذه القرارات ليست مجرد تفاصيل في القصة، بل هي نقاط تحول محورية تُغير مسار الحبكة جذرياً، وتفتح فصولاً جديدة كلياً في الرواية. فلو لم يتغير أمير، لظلت الحبكة محصورة في إطار واحد.

- خلق الصراعات وتعميقها: الشخصيات النامية غالباً ما تكون في صراع مستمر، سواء كان داخلياً (مثل صراع أمير مع مفهوم الأبوة أو البحث عن معنى للحياة) أو خارجياً (مثل صراعه مع القيود الاجتماعية أو ظروف العراق). هذا الصراع لا يتوقف عند نقطة معينة، بل يتصاعد مع نمو الشخصية.



مثال: في البداية، قد يكون صراع أمير مع والده حول المسرح بسيطاً. لكن مع تطور شخصيته بعد الصدمة، يصبح صراعه مع مفاهيم الأبوة والمسؤولية أعمق وأكثر تعقيداً، مما يُولد مواقف درامية جديدة ويدفع الحكمة نحو استكشاف أبعاد غير تقليدية للعلاقات الإنسانية.

■ تعزيز المصادقية والتوتر السردى: يجعل تطور الشخصيات القصة أكثر واقعية وإنسانية. القارئ يتعاطف مع هذه الشخصيات ويصدق رحلتها، لأنها تُحاكي تعقيدات الحياة الحقيقية حيث يتغير البشر ويتعلمون من تجاربهم. هذا يُعزز من جاذبية الحكمة ويُبقي القارئ منخرطاً، لأنه يشعر بأن كل تحول في الشخصية يقود إلى مسار جديد في القصة ويُبقي التوتر السردى حياً.

■ تقديم حلول وعقد غير تقليدية: بما أن الشخصيات تتغير، فإنها قد تجد حلولاً لمشاكلها أو تتخذ قرارات للخروج من العقدة بطرق غير متوقعة. فحل أمير لمشكلة الأبوة والبحث عن معنى لحياته كان حلاً غير تقليدي يعكس تحوله العميق، وهذا الحل نفسه يخلق عقداً جديدة (مثل الأسئلة الأخلاقية) تُثري الحكمة.

2. تأثير نمو الشخصيات على تشكيل الرسائل والأبعاد الفكرية للرواية:

تُعد الشخصيات النامية بمثابة الأوعية التي تحمل الأفكار الفلسفية وتُقدم الرسائل العميقة للرواية، وتُسهم في إثراء دلالاتها:

■ استكشاف عمق التجربة الإنسانية: تتيح الشخصيات النامية للرمل استكشاف قضايا إنسانية وفلسفية عميقة تتجاوز حدود القصة الفردية. فالرحلة المعقدة لأمير تُصبح نموذجاً لاستكشاف القدرة والاختيار، معنى الأبوة والمسؤولية في ظل الفقد، التعويض عن الألم، التمرد على المألوف، والبحث عن الهوية في ظل الفوضى والشتات.

مثال: إن تحول أمير من الأب المكلوم إلى "واهب الحياة" بشكل غير تقليدي، لا يطرح فقط قصة فردية، بل يُقدم رسالة أوسع حول طرق البشر المختلفة في التعامل مع الألم، وإعادة تعريف مفاهيم اجتماعية مقدسة، والسعي وراء الحرية الفردية حتى لو كانت مخالفة للعرف.

■ نقد الواقع الاجتماعي والسياسي: من خلال التحولات التي تمر بها الشخصيات، تُقدم الرواية نقداً ضمنياً للظروف الاجتماعية والسياسية التي دفعت أمير وغيره إلى هذه التحولات الجذرية.

ففقدان الابنة في سياق العنف في العراق، وقيود المجتمع على الطموحات الفنية، هي كلها عوامل خارجية تُسهم في تحول الشخصية، وتُقدم رسالة واضحة حول الأثر المدمر للظروف السياسية والاجتماعية على الفرد، وكيف أن هذه الظروف تُجبر البشر على التكيف أو التمرد بطرق غير متوقعة.

■ طرح الأسئلة الفلسفية والأخلاقية: رحلة الشخصية في التطور تدفع القارئ إلى التفكير في أسئلة فلسفية حول الحرية، المسؤولية، الأخلاق، ومعنى العائلة. لا تُقدم الرواية إجابات جاهزة، بل تُثير التساؤلات.

قرار أمير بعدم تحمل مسؤولية الأبناء الذين ينجبهم، على الرغم من مساهمته في وجودهم، يفتح نقاشاً أخلاقياً وفلسفياً حول مفهوم الأبوة في العصر الحديث، وعن الحدود الفاصلة بين الإنجاب والمسؤولية، وعن حق الفرد في التحرر من الأعباء العاطفية بعد صدمة كبرى.

■ الرمزية والعمق الدلالي: تحمل الشخصيات النامية غالباً دلالات رمزية تتجاوز مجرد وجودها كأفراد. يُصبح تطورهم رمزاً لمفاهيم أوسع.

مثال: قد يرمز أمير إلى الجيل العراقي الذي اضطر إلى التكيف مع واقع مؤلم والانفصال عن جذوره بحثاً عن بقاء ذاته، بينما قد ترمز قصة ابنته إلى براءة ضاعت في خضم العنف، وإلى ضحايا الحروب الذين لا يجدون حتى قبوراً كريمة. هذه الرمزية تُعمق من الأبعاد الفكرية للرواية وتجعلها تتجاوز السرد الفردي لتصبح تعبيراً عن تجربة إنسانية أوسع.

تُشكل الشخصيات النامية في "أبناء وأحفاد" العمود الفقري للرواية. فمهمها ليس عرضياً، بل هو جزء لا يتجزأ من النسيج الروائي، يمنحه الحيوية، المصادقية، والعمق الدلالي الذي يجعلها رواية غنية فكرياً وإنسانياً.



الاستخلاصات:

بناءً على التحليل المعمق لدينامية الشخصيات في رواية "أبناء وأحذية"، يمكن استخلاص النتائج الرئيسية التالية:

1. الطبيعة الجوهرية للتحويلات في الشخصية المحورية "أمير":

أظهرت الدراسة أن شخصية أمير ليست ثابتة على الإطلاق، بل تخضع لتحويلات عميقة وجذرية على المستويات النفسية، السلوكية، والفكرية. هذه التحويلات تُعدّ محور الرواية وليست مجرد أحداث عابرة. فمن الأب المكلوم والمنكسر الذي يدفن ابنه في علبة حذاء، يتحول إلى شخصية متمردة تُعيد تعريف مفهوم الأبوة والمسؤولية من خلال "التبرع بالحيوانات المنوية"، باحثاً عن التحرر والتعويض بطرق غير تقليدية. هذا التحول يُظهره ككائن مركب ومعقد، يعكس صراعات الإنسان في مواجهة الألم والفقد.

2. تضافر العوامل الداخلية والخارجية في دفع التحويلات:

أكدت الدراسة أن نمو الشخصيات وتطورها هو نتاج تفاعل معقد بين عوامل داخلية وخارجية متضافرة:

- **العوامل الداخلية:** تمثلت في الصدمة النفسية الكبرى لفقدان الابنة، وما تبعها من شعور بالذنب والعجز، والصراعات الوجودية الداخلية حول معنى الحياة، الموت، الأبوة، والمصير. كما لعب شغفه الفني المكبوت دوراً في تعزيز روح التمرد لديه.

- **العوامل الخارجية:** كان للظروف السياسية والاجتماعية القاسية في العراق (الحروب، العنف، القيود الاجتماعية والأسرية) دور محوري كدافع للهروب والبحث عن بديل. ثم جاءت التجارب في الغرب (إسبانيا وكولومبيا) لتوفر المساحة والحرية اللازمة لأمير لتجريب هويته الجديدة وإعادة تعريف قيمه بعيداً عن قيود الماضي. العلاقات الأسرية، وخاصة الصراع مع سلطة الأب، ساهمت أيضاً في تشكيل تمرده.

3. التقنيات السردية كأدوات لإبراز الدينامية بشكل مقنع:

بينت الدراسة أن محسن الرملي يوظف ببراعة مجموعة من التقنيات السردية لإبراز دينامية الشخصيات وجعل تطورها مقنعاً وواقعياً للقارئ:

- **المونولوج الداخلي وتيار الوعي:** يمنح القارئ وصولاً مباشراً لأفكار أمير ومسار تحول قناعاته.
- **الاسترجاع الزمني:** يكشف عن الأسباب الجذرية للصددمات والتغيرات من خلال استحضار الماضي المؤلم.
- **الحوار:** يعكس التحويلات في شخصية أمير من خلال طريقة حديثه، وما يقوله أو لا يقوله، وتفاعلاته مع الآخرين.
- **تصوير الشخصية من خلال الفعل ورد الفعل:** يُظهر التغير الملموس في سلوك أمير وقراراته الجذرية (كالهروب أو "التبرع بالحيوانات المنوية").
- **الرمزية:** يستخدم رموزاً مثل "الأحذية" التي تتغير دلالتها لتواكب تطور الشخصية ومفاهيمها.
- **وصف البيئة المحيطة:** يُظهر كيف أن الانتقال بين البيئات (العراق، إسبانيا، كولومبيا) يؤثر في مسار التحويلات النفسية للشخصية.

4. الأثر العميق لنمو الشخصيات على الحبكة والرسائل الفكرية:

خلصت الدراسة إلى أن نمو الشخصيات وتطورها ليس مجرد إضافة للرواية، بل هو المحرك الأساسي للحبكة وعمودها الفقري، كما أنه حامل الرسائل الفكرية والفلسفية التي تسعى الرواية لإيصالها:

- **على مستوى الحبكة:** أدت التحويلات في شخصية أمير إلى ديناميكية عالية في الأحداث وتساعد غير متوقع (من مأساة في بغداد إلى حياة غير تقليدية في الغرب)، وخلق صراعات داخلية وخارجية عميقة تُبقي التوتر السردى حياً.
- **على مستوى الرسائل الفكرية:** أصبحت رحلة أمير النامية أداة لاستكشاف قضايا إنسانية وفلسفية عميقة مثل معنى الأبوة في ظل الفقد، حدود المسؤولية، التحرر الفردي، نقد الواقع السياسي والاجتماعي، والبحث عن الهوية والمعنى في عالم يعج بالفوضى والألم. الرواية لا تُقدم إجابات جاهزة، بل تُثير التساؤلات الأخلاقية والوجودية عبر التحويلات المعقدة لشخصياتها.



بناءً على هذه النتائج، يمكن القول إن محسن الرملي نجح في بناء رواية تُعدّ الشخصية النامية فيها هي مفتاح فهم تعقيداتها الفنية والفكرية، مما يُضيف عمقاً وتأثيراً على التجربة القرائية.
قائمة المراجع:

الكتب العربية:

1. احلام فتحي: لغة الجسد، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2015.
2. الطاهر الجزيري: الحوار في الخطاب، دراسة تداولية سردية في نماذج من الرواية العربية الجديدة، ط1، مكتبة أفاق، الكويت، 2012.
3. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990.
4. صاحب الربيعي: سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ط1، دار صفحات للنشر، دمشق، سوريا، 2007.
5. طه وداي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، الاسكندرية، 1994.
6. عبدالمك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار عالم المعرفة، 1998.
7. عدي جاسم أحمد: أنماط الشخصية ودورها في البناء السرد في روايات محسن الرملي، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017.
8. فيصل عباس: أساليب دراسة الشخصية، ط1، دار الفكر، لبنان، 2015.
9. محسن الرملي: رواية أبناء وأحذية، دار المدي، بغداد، ط1، 2018.
10. محمد بوعزة: تحليل النص السرد (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010.
11. مصطفى جمعة: الوعي السرد (نقد)، ط1، دار النسيم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
12. فائق مصطفى، د عبدالرضا علي: فن النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، 2010.
13. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار بيروت، بيروت، 1955.
14. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997.

البحوث المنشورة:

15. إبراهيم جنداري: في مفهوم الشخصية الروائية، مجلة الأقلام، العدد(2)، بغداد، العراق، 2001.
16. أثير عادل: تقديم الشخصيات في الرواية العراقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005.
17. أماني يحيى عابد: تمثيلات السلطة في روايات محسن الرملي دارة بنوية توليديه، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2021.
18. حسام سعود عبيد: تأثر الزمان المكاني على الأحداث والشخصيات في رواية تمر الأصابع لـ (محسن الرملي)، بحث منشور، مجلة لارك، العدد(2)، المجلد(16)، 2024.
19. حمزة طالب: أنماط الشخصية العراقية في روايات فؤاد التكرلي، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2016.
20. سامان جليل إبراهيم: الوعي السرد بالواقع العراقي المعاصر قراءة في روايات محسن المرملي، بحث منشور، مجلة دراسات اللغة، العدد(10)، المجلد(8)، 2024.
21. عز الدين حليلة: مصادر الزمن وتجلياته في الرواية العربية المعاصرة، رواية رمل الماية لواسيني الأعراج أنموذجاً، بحث منشور، العدد(2)، جامعة الجزائر، 2019.

الكتب المترجمة:

22. ديان دوانفاير: فن كتابة الرواية، ترجمة عبدالستار جواد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1988.
23. فيليب هامون: سيميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر، 2013.
24. فورستر: أركان القصة، دار الكرنك سلسلة الألف، القاهرة، 1960.
25. فيليب هامون: سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، اللاذقية، سوريا، 2013.



26. ميلان كونديرا : فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودى، المجلس الأعلى للثقافة، 2001.
27. والاس مارتن : نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

References

Arabic books:

1. Ahlam Fathi: Body Language, 1st ed., Academic Book Center, Amman, 2015.
2. Al-Taher Al-Jaziri: Dialogue in Discourse, a Narrative Pragmatic Study in Models of the New Arabic Novel, 1st ed., Afak Library, Kuwait, 2012.
3. Hassan Bahrawi: The Structure of the Novel Form (Space, Time, Character), Arab Cultural Center, 1st ed., Beirut, 1990.
4. Sahib Al-Rubai: The Authority of Tyranny and Oppressed Society, 1st ed., Safahat Publishing House, Damascus, Syria, 2007.
5. Taha Wadai: Studies in Novel Criticism, Dar Al-Maaref, Alexandria, 1994.
6. Abdulmalik Murtad: In the Theory of the Novel: A Study of Narrative Techniques, Dar Alam Al-Ma'rifa, 1998.
7. Adi Jassim Ahmad: Character Types and Their Role in Narrative Structure in the Novels of Mohsen Al-Ramli, Ghaidaa Publishing and Distribution House, 2017.
8. Faisal Abbas: Methods of Character Study, 1st ed., Dar Al-Fikr Lebanon, 2015.
9. Mohsen Al-Ramli: Sons and Shoes, Dar Al-Meddi, Baghdad, 1st ed., 2018.
10. Mohamed Bouazza: Narrative Text Analysis (Techniques and Concepts), Ikhtilaf Publications, 1st ed., Algeria, 2010.
11. Mustafa Juma: Narrative Consciousness (Criticism), 1st ed., Dar Al-Naseem for Publishing and Distribution, Cairo, 2016.
12. Faeq Mustafa, Dr. Abdul-Rida Ali: The Art of Modern Literary Criticism: Principles and Applications, 2010.
13. Mohamed Youssef Najm: The Art of the Story, Dar Beirut, Beirut, 1955.
14. Mohamed Ghanimi Hilal: Modern Literary Criticism, Dar Nahdet Misr, Cairo, 1997.

Published research:

15. Ibrahim Jandari: On the Concept of the Novelistic Character, Al-Aqlam Magazine, Issue (2), Baghdad, Iraq, 2001.
16. Atheer Adel: Character Presentation in the Iraqi Novel, Master's Thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2005.
17. Amani Yahya Abed: Representations of Authority in the Novels of Mohsen Al-Ramli: A Generative Structural Circuit, PhD Thesis, College of Arts and Humanities, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia, 2021.
18. Hussam Saud Obaid: The Influence of Time and Space on Events and Characters in Mohsen Al-Ramli's Novel *Pass the Fingers*, published research, Lark Magazine, Issue (2), Volume (16), 2024.



19. Hamza Talib: Iraqi Character Patterns in the Novels of Fouad Al-Takarli, Master's Thesis, International Islamic University of Sciences and Technology, Amman, 2016.
20. Saman Jalil Ibrahim: Narrative Awareness of Contemporary Iraqi Reality: A Reading of Mohsen Al-Marmali's Novels, published research, Studies Magazine Language, Issue (10), Volume (8), 2024.
21. Ezzedine Halima: Sources of Time and Its Manifestations in the Contemporary Arab Novel, Wasini Al-A'raj's Novel "Raml Al-Maya" as a Model, Published Research, Issue (2), University of Algiers, 2019.

Translated books:

22. Diane Duanvaer: The Art of Writing the Novel, translated by Abdul Sattar Jawad, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyyah, Iraq, 1988.
23. Philippe Hamon: The Semiology of the Novelistic Character, translated by Saeed Benkrad, Dar Al-Hiwar Publishing House, 2013.
24. Forster: The Pillars of the Story, Dar Al-Karnak, Alef Series, Cairo, 1960.
25. Philippe Hamon: The Semiology of Novelistic Characters, translated by Saeed Benkrad, Dar Al-Hiwar Publishing and Distribution, first edition, Latakia, Syria, 2013.
26. Milan Kundera: The Art of the Novel, translated by Badr Al-Din Arudaki, Supreme Council of Culture, 2001.
27. Wallace Martin: Modern Narrative Theories, translated by Hayat Jassim Muhammad, Supreme Council of Culture, 1998.

English References:

28. Boyes, Caroline (Body Language: Learn the Other Through His Most Honest Language), Translation: Maha Fakhri Kanbar, T1, Beam Publishing and Science, Aleppo _ Syria, 2023.
29. flowery Petiole, HajarShabouat: Embedded Patterns in the Novel (The Swamp by Mohsen Ben Haniyeh), Master's thesis, Faculty of Arts and Languages, Kasdi Merbah University, Ouargla, Algeria, 2020, pp34-36
30. Latif Zitouni : Novel and Values", (1st edition), Dar Al-Farabi, Beirut, 2018.
31. Mustafa Attia (2016), "Awareness and Narrative (Criticism)", 1st edition, Dar Al-Naseem for Publishing and Distribution, Cairo, 2016
32. Nernberg, Calero, Grayson, Gerard Eye, Henry H. Gabriel (How to read someone like a book), T1, Greer Library, 2020.



1. د طه وداي : دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، الاسكندرية، 1994، ص25.
2. فيليب هامون : سيميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر، 2013، ص ص17، 18.
3. والاس مارتن : نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص152.
4. فورستر : أركان القصة، دار الكرنك سلسلة الألف، القاهرة، 1960. ص90.
5. ميلان كونديرا : فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودى، المجلس الأعلى للثقافة، 2001، ص ص37، 38.
6. حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، ص215.
7. محمد بوعزة : تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص ص57، 58.
8. د محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص526.
9. عبدالمك مرتاض : في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار عالم المعرفة، 1998، ص89.
10. د فائق مصطفى، د عبدالرضا علي : فن النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، 2010، ص136.
11. محمد يوسف نجم : فن القصة، دار بيروت، بيروت، 1955، ص86.
12. ينظر: حمزة طالب: أنماط الشخصية العراقية في روايات فؤاد التكرلي، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2016. ص ص28-35.
13. محسن الرملي : رواية أبناء وأحذية، دار المدي، بغداد، ط1، 2018، ص
14. أماني يحيى عابد : تمثيلات السلطة في روايات محسن الرملي دارة بنويبة توليديه، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص42
15. الرواية.
16. الرواية.
17. صاحب الربيعي : سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ط1، دار صفحات للنشر، دمشق، سوريا، 2007، ص18.
18. الرواية.
19. الرواية.
20. الرواية.
21. الرواية.
22. أثير عادل: تقديم الشخصيات في الرواية العراقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005، ص27.
23. عدي جاسم أحمد : أنماط الشخصية ودورها في البناء السردى في روايات محسن الرملي، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017، ص23.
24. سامان جليل إبراهيم : الوعي السردى بالواقع العراقي المعاصر قراءة في روايات محسن المرملي، بحث منشور، مجلة دراسات اللغة، العدد(10)، المجلد(8)، 2024، ص ص47-76.
25. الرواية.
26. حسام سعود عبيد : تأثير الزمان المكاني على الأحداث والشخصيات في رواية تمر الأصابع لـ (محسن الرملي)، بحث منشور، مجلة لارك، العدد(2)، المجلد(16)، 2024، ص5.
27. الرواية.



28. الرواية.
29. ينظر: إبراهيم جنداري: في مفهوم الشخصية الروائية، مجلة الأقاليم، العدد (2)، بغداد، العراق، 2001، ص12.
30. احلام فتحي: لغة الجسد، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2015، ص62.
31. الرواية.
32. فيصل عباس: أساليب دراسة الشخصية، ط1، دار الفكر، لبنان، 2015، ص83.
33. الرواية.
34. فيليب هامون: سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، اللاذقية، سوريا، 2013، ص ص39، 40.
35. الرواية.
36. الرواية.
37. فيصل عباس: مرجع سابق، ص83.
38. Mustafa Attia : “Awareness and Narrative (Criticism)”, 1st edition, Dar Al-Naseem for Publishing and Distribution, Cairo, 2016.p73.
39. الرواية.
40. الرواية.
41. الرواية.
42. Nernberg, Calero, Grayson, Gerard Eye, Henry H. Gabriel (How to read someone like a book), T1, Greer Library, 2020.p90.
43. Boyes, Caroline (Body Language: Learn the Other Through His Most Honest Language), Translation: Maha Fakhri Kanbar, T1, Beam Publishing and Science, Aleppo _ Syria, 2023.
44. Latif Zitouni : Novel and Values”, (1st edition), Dar Al-Farabi, Beirut, 2018, p121.
45. الرواية.
46. Latif Zitouni: Previous reference,p121.
47. الرواية.
48. الرواية.
49. الرواية.
50. flowery Petiole, HajarShabouat: Embedded Patterns in the Novel (The Swamp by Mohsen Ben Haniyeh), Master’s thesis, Faculty of Arts and Languages, Kasdi Merbah University, Ouargla, Algeria, 2020, pp34-36
51. الرواية.
52. الرواية.
53. الرواية.
54. فيليب هامون، مرجع سابق، ص62.
55. الرواية.
56. عدي قاسم: مرجع سابق، ص73.
57. الرواية.
58. الرواية.
59. الرواية.
60. الرواية.
61. الرواية.



62. عدي جاسم احمد : مرجع سابق، ص75.
63. الرواية.
64. الرواية.
65. ينظر: نجوى حساني : الفضاء السيري في رواية تمر الأصابع لمحسن المرملي، رسالة ماجستير، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018، ص ص 71، 72.
66. الرواية.
67. الطاهر الجزيري: الحوار في الخطاب، دراسة تداولية سردية في نماذج من الرواية العربية الجديدة، ط1، مكتبة أفاق، الكويت، 2012، ص ص 63-68.
68. ديان دوانفاير: فن كتابة الرواية، ترجمة عبدالستار جواد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1988، ص101.
69. الرواية.
70. الرواية.
71. الرواية.
72. ينظر : عزالدين حليلة: مصادر الزمن وتجلياته في الرواية العربية المعاصرة، رواية رمل الماية لواسيني الأعراج أنموذجا، بحث منشور، العدد(2)، جامعة الجزائر، 2019، ص ص 211-214.
73. (مصطفى جمعة: الوعي السردى (نقد)، د1، دار النسيم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص16.
74. الرواية.
75. الرواية.
76. الرواية.
77. الرواية.